25 من هو مؤسس الفيزياء النفسية (السايكوفيزيقيا) وعلم النفس التجريبي؟

Who is the founder of Psichophysics and experimental Psichology?

عمر هارون خليفة

- المجلة الأميركية للعلوم الاجتماعية الإسلامية (مجلد 16 عدد 2، صيف 1999، ص ص1 –26) [26 صفحة من القطع الصغير].
- لغة البحث (الكتاب): اللغة الإنجليزية.
- مجال البحث (الكتاب): التراث النفسي الإسلامي – علم النفس التجريبي

❑ ❑ ❑

يعرِّف الباحث دراسته كبحث في أصول علم (الفيزياء النفسية) وعلم النفس التجريبي، غايته فيه أن يصل إلى حقيقة المؤسس الفعلي أو من له سبق الفضل في تأسيس هذين العلمين.

فالمعروف في الأوساط العلمية الغربية في مجال علم النفس، أو بالنسبة إلى مؤرخي علم النفس، فإن Frances Bacon هو الذي ينسب له تأسيس الطريقة العلمية التجريبية بسبب تركيزه على الإستقراء والتكميم والملاحظة.

أما بالنسبة إلى الفيزياء النفسية فإن ذات المصادر الغربية المؤرخة لعلم النفس تنسب تأسيس هذا العلم إلى Fechner بسبب نشره كتاب (عناصر الفيزياء النفسية) في عام 1860.

* ويبدأ الباحث مهمته في تتبع الجذور الأساس أو الخطوات الأولى في تأسيس كل من هذين العلمين. فيبدأ بما عرضه Bacon (فرانسيس وروجر) في حقل الطريقة العلمية أو التجريبية واستخدامها الطريقة العلمية (من قبل فرانسيس) والرياضيات أو التطبيقات الرياضية في البصريات (من قبل روجر) قادت جمعيها إلى ما نسميها في علم النفس بالطريقة التجريبية.

* ثم يبدأ بعرض كتاب الفيزياء النفسية (لفاخنر) الذي تضمن فصولاً كثيرة في المفاهيم الأساس للفيزياء النفسية: مفاهيم الإحساس والإستجابة، قياس الفاعلية الفيزيائية، مبادئ قياس الإحساس والحاسية... إلخ، كما حاول (فاخنر) أن يدرس العلاقة بين الإدراك والإحساس.

وبسبب هذا الكتاب يعتبره مؤرخو علم النفس أنه هو مؤسس الفيزياء النفسية أولاً، ولعلم النفس التجريبي ثانياً، لأنه أول من أعطى علم النفس تأسيساً رياضياً وبدأ أول الخطوات لتكميم علم النفس (يعتبره الآخرون مؤسساً لعلم النفس الكمي كذلك).

* وبعد استعراض إنجاز كل من (بيكون) و(فاخنر) في هذين المجالين، يعرج الباحث إلى الحسن ابن الهيثم في كتابه (المناظر). وبعد استعراضه للمخطوطة وطباعتها ونشرها وترجمتها إلى اللاتينية لأول مرة عام (1572) من قبل Risner وما لحقها من طبعات أو تحقيق عربي متأخر (نظيف 1944) و(صبره 1989) الذي صدر عن جامعة هارڤرد، وكيف عملت الترجمات اللاتينية والأوروبية على ذكر كلمة (الحسن) بأشكال متعددة منها (الخازن) و(الخسن)... إلخ، مع استعراض لبعض المنصفين الغربيين في عرض ما أنجزه ابن الهيثم في كتابه (المناظر). بعد ذلك يستعرض الباحث المقالات الأربع عشرة لابن الهيثم كما عرضها (ابن أبي أصيبعه) في كتابه (الطبقات). ثم يرجع الباحث إلى كتاب (المناظر) ليفصَّل في فصوله أو كتبه أو مقالاته السبعة مقالة مقالة.

ويعرض الباحث كذلك دراسة ابن الهيثم لخصائص البصر والإدراك البصري والإحساس (الذي يحتل الموقع المركزي في الفيزياء النفسية) والتغير في الإحساس والألوان وحاسة اللمس وإدراك العتمة والتفسير النفسي للخداع أو الوهم البصري والبصر الثنائي... ويوضح بجلاء أسبقية وعبقرية وإبداع ابن الهيثم في هذا المجال.

* ولقد قام الباحث (ولأول مرة حسب علمي) بإعادة تصميم جهاز ابن الهيثم للخداع البصري (بعد أن أجرى عليه بعض التعديلات الطفيفة) بالتعاون بين قسمي علم النفس والفيزياء في جامعة البحرين ليطبق خمس تجارب (أجراها ابن الهيثم وذكرها في كتاب المناظر) وليجد أن هذا الجهاز يمكن استخدامه وتوثيق نتائجه، وفيه توثيق أسبقية ابن الهيثم في الإستخدام الرياضي في مجال الفيزياء النفسية أولاً، وفي مجال علم النفس التجريبي ثانياً، ومن منظورين (نفسي - فيزيائي) ثالثاً.

* وبعد العرض النظري والإستعراض التاريخي والشواهد التجريبية مع تطبيقها يخرج الباحث بخلاصة مفادها:

أن دراسته النظرية والعملية أظهرت أن الحسن بن الهيثم الذي ظهر كتابه (المناظر) في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي هو الذي يستحق لقب (مؤسس) علم النفس التجريبي والطريقة التجريبية وليس (فاخنر) أو (بيكون).

ويستعرض الباحث آراء أخرى توافقه في أن ابن الهيثم هو أول من استخدم الرياضيات والملاحظات التجريبية في مجال البصريات قبل أي شخص آخر. فقد ذكر ابن الهيثم في مقالته الأولى، أو استخدم مصطلحات: التجربة، الإختبار، الفاحص، الملاحظ، والنتائج، عند دراسته للخداع البصري وقياسه لذلك الخداع تجريبياً أو مختبرياً.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

علم النفس التجريبي، الفيزياء النفسية، علم النفس الكمي، التراث النفسي الإسلامي، الحسن ابن الهيثم والطريقة التجريبية، الحسن بن الهيثم وعلم النفس التجريبي، مؤسس علم النفس التجريبي والفيزياء النفسية، تجارب الخداع البصري النفسي.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- لا شك أنها المرة الأولى (حسب علمي) التي يحاول فيها مختص في علم النفس إعادة تصميم أجهزة قياسية وردت في التراث النفسي الإسلامي، ثم يقوم بتطبيقها عملياً كما وردت تراثياً ليبرهن على فرضيته بأحقية تأسيس هذا الفرع من العلوم النفسية.
- وفي مثل هذه المحاولات يمكن أن نخرج من نقل النصوص التراثية إلى

توظيف عملي للمفاهيم النفسية في التراث الإسلامي من ناحية، وإلى توثيق المساهمات المبدعة والتجريبية للعلماء المسلمين إبان الحضارة العربية الإسلامية وازدهارها من ناحية ثانية.

- إلا أنني لاحظت أن المقالة فقدت السياق الموحد أو لأقل الإنسيابية المنطقية في العرض: إذ شابها عدم التساوق من جهة، والتكرار للكثير من المفاهيم بل وحتى الجمل والعبارات لأكثر من مرة من جهة ثانية. وكان يمكن أن تعرض بطريقة مركزة وانسيابية في الطرح المنطقي والتاريخي للمفاهيم والنتائج التي أراد الباحث الخروج بها من دراسته المهمة والجادة هذه.

❑ ❑ ❑

obeikandl.com